بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإن حب الأمة لنبيها ﷺ برهانه ظاهر وعلاماته بيّنة، لا يحتاج امرؤ إلى طول تأمل حتى يعرفها، ومن سمع اسمه عليه السلام من فوق المنائر يتردد في المشارق والمغارب خمس مرات في كل يوم وليلة رأى مظهراً من مظاهر ذلك الحب، وقل مثل ذلك في خطب المسلمين وصلواتهم وأنكحتهم وجنائزهم، بل في كل موقف يُظهرون حبهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام، وقد كانت المحنة الأخيرة التي نزلت بالأمة وما أصابها من هم وغم من جراء تطاول بعض الصليبيين على شخص نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم أثر كبير في إظهار الأمة لعاطفتها نحو نبيها عليه السلام فخرجت المسيرات والمظاهرات، وتعالت الصيحات والهتافات، وتقطعت أواصر وعلاقات، وعقدت الندوات والمؤتمرات، وتحركت فئام من الناس ما كنا نحسب أن بهم حراكاً أو غضباً لنبيهم ﷺ فكان حالهم ـ بوجه ما ـ كحال أصيرم بني عبد الأشهل لما خرج يوم أحد فقال له قومه: ما جاء بك يا أصيرم؟ فقد عهدناك لهذا الأمر كارهاً!! فقال: جئت مؤمناً بالله ورسوله.

ولعل نظرة سريعة لوتيرة تلك الأحداث يستخلص منها المتأمل أمرين في غاية الأهمية:

أولهما: أن هذه الإساءة لشخص نبينا ﷺ ما كانت في صحف بلد واحد، بل تتابع على نشرها صحف كثيرة في ايطاليا والنمسا ورومانيا وإسبانيا والنرويج وفرنسا بعد الدانمرك، التي تولت كبر هذا الإفك المبين، وفي هذا دلالة على ما قال ربنا ﷻ (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) وقوله سبحانه (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)

ثانيهما: أن هذه الغضبة قد انتظمت بلاد المسلمين من أقصاها إلى أقصاها، ولم يقعد عن نصرة نبينا ﷺ إلا من أعيته الحيلة من المسلمين المستضعفين؛ بل رأينا دولاً ما كان لها في نصر الإسلام نصيب في قريب تسمح بخروج المظاهرات، وربما تصدر عنها بيانات رسمية تستنكر ما كان وتشجب ما حصل، وقد تعاون في إنكار هذا الأمر الشعوب مع القادة إلا من شذ، أو آثر السكوت جرياً على العادة غير الحميدة

عناصر القوة والإيجابية في موقف المسلمين من النصرة

1. تنبيه المسلمين إلى وحدة معتقدهم، وأنهم على اختلاف جماعاتهم وأحزابهم وطوائفهم ودولهم، بل ـ برهم وفاجرهم ـ في تعظيم حرمة نبيهم صلى الله عليه وسلم سواء، وفي هذا تمليك لعنصر من عناصر القوة ربما يغفل عنه الناس كثيراً انشغالاً بخلافاتهم الفرعية
2. تنبيه الساعين إلى جمع كلمة الأمة إلى استغلال هذه النوازل والمصائب لقرع أجراس الإنذار وإيقاظ الأمة إلى أنها جميعاً مستهدفة في أصل دينها (ليزداد الذين آمنوا إيماناً) ولنقطع الطريق على من يبثون الأراجيف بزعمهم أن صراع المعتقدات قد انتهى زمانه، وقد حلَّ مكانه صراع الحضارات
3. يمكن لعقلاء الأمة ممن يعرفون لغة القوم وطبيعة تفكيرهم أن يجعلوا من الحدث فرصة لعرض عقيدة الإسلام في الإيمان برسل الله جميعاً وتوقيرهم وحرمة التعرض لهم، وأنهم ـ رغم ما قالوه ونشروه عن نبينا ﷺ ـ فإننا لا نستطيع ـ ديناً ـ أن نرد لهم الإساءة في شخص نبي الله عيسى عليه السلام مثلاً

4. بدا من خلال تلك التحركات أن الأمة تعرف عدوها جيداً، وأنها تحمل قدراً كبيراً من الكراهية والبغضاء لرأس الصليبية العالمية المعاصرة ـ أمريكا ـ فرأينا الناس يخرجون في مظاهراتهم لإدانة تلك الرسوم فيحرقون الأعلام الأمريكية، وكأنهم يقولون: لولا أن أمريكا ابتدأت هذا العدوان بما اقترفته في حق المصحف الشريف وانتهاك حرمات المسلمين في أبي غريب لما اجترأ أولئك الأوباش على شخص نبينا ﷺ فسلسلة الشر والكذب واحدة، وهذه نظرة كلية صائبة حيث لم يشغل الحدث الفرد عقلاء الناس عن مقدماته ومسبِّباته
5. قيادات الأمة تستطيع أن تفعل لو أرادات، وقد لمسنا تحركات قد تبدو خافتة حيية لكن لها أثراً ـ ولا بد ـ فقطعت دول علاقاتها مع الدولة المسيئة، وأخرى خفضت بعثتها الدبلوماسية، وثالثة استدعت سفيرها للتشاور
6. في يد الأمة سلاح مضاء لو أحسنت استخدامه، وأخذ الأمر بعده العقدي الديني، ولم تستمع عامة الناس إلى المثبطين والمشككين، وهو سلاح المقاطعة الاقتصادية، حيث رأينا من الأمة خيراً كثيراً في هذا الباب، لكن يلزم دعمه بالفتاوى الجماعية والسعي الدؤوب لتكون حالة دائمة حتى يثوب الكفار إلى رشدهم حين يعلمون أن المسلمين قادرون على الإضرار باقتصادهم بمقاطعة سلعهم والاستغناء عن منتجاتهم
7. لو وضعت الشعوب يدها في يد قياداتها الدينية والسياسية في الأمور المتفق عليها يمكنها صنع شيء تعود فائدته وثمرته على الجميع، ولا يلزم من ذلك السكوت على التقصير الواقع والخلل الحادث
8. الحاجة داعية إلى قيام جسم يضم علماء الأمة ودعاتها دون إقصاء لأحد، يلجأ إليه الناس عند النوازل؛ لنتجنب ممارسات خاطئة تحدث أحياناً، كالتدمير والتخريب الذي طال المنشآت والممتلكات باسم نصرة النبي صلى الله عليه وسلم